

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

﴿ الشورى في بلاد فارس ﴾

تحدث الناس من زمن غير قريب بأن الشاه مظفر الدين صاحب فارس ميال للإصلاح وأن هذا الميل قوي في نفسه بعد سياحته في أوربا، وكان الناس يظنون أن العقبة الكؤود في طريق الإصلاح لتلك البلاد نفوذ العلماء والمجتهدين الذين يعيشون في الحكومة الاستبدادية كالممك والامراء واعتقادهم كغيرهم أن الإصلاح إنما يكون على يد المهدي المنتظر ثم نفوذ الوجها والكبراء الذين رسخ في نفوسهم حب الحكومة الدستورية واستطابوا ثمراتها، ولما جاءت أنباء تلك الديار بأن العلماء والكبراء هم الذين يطلبون الإصلاح ويأخون فيه عجب الناس منهم وأعجبوا بهم وتبين لأهل البصرة أن القول بوجود الاجتهاد في الدين والعلم هو النور الذي هدى علماء فارس إلى هذه الجادة القويمة ولا غرو فلا هداية الا بالعلم الصحيح ولا علم الا بالاجتهاد فالاجتهاد أقرب إلى الهدى وإن ضاقت دائرة اجتهاده والمقلد أحق بالصمى وإن اتسعت دائرة تقليده . وأما الاعتقاد بالمهدي فإنه لا يصد عن الإصلاح إذا عقل طلابه، يقولون لأن يمجدا المهدي أقوياء صالحين خير من أن يمجدا ضعفاء فاسدين (كما بينا ذلك في كتاب الحكمة الشرعية) رضي الشاه بأن تكون حكومته قائمة على أساس الشورى الإسلامية فأمر بذلك ونزل عما كان له بمقتضى النظام القديم من الاستبداد فهناه الممك بذلك ماعدا السلطان عبد الحميد وفرح عقلاء المسلمين بذلك في جميع البلاد وكان أشدهم سرورا عقلاء العثمانيين واتي أقول الآن في هذا العمل الجميل كلمة هي أكبر من المقالات الضافية واقتصائد البليغة وهي أن كتاب الله تعالى جعل أساس المسلمين شورى بينهم فالحكم الفردي الذي يبنى على قاعدة الاستبداد هو الحكم بغير ما أنزل الله فلا يجوز أن يسمى إسلامياً فاذا نفذ حكم الشورى في البلاد

الفارسية على وجهه وبقيت سائر حكومات المسلمين استبدادية وجب علينا ان نقول انه لا يوجد في الارض حكومة اسلامية حقيقية الا الحكومة الفارسية فالواجب علينا تأييدها لئلا يعجز حكم القرآن من الارض وانما الواجب اقامة حكمه لاحكم من يسمي نفسه سنياً أو غير سني وهو مخالفه

﴿ جامع ومدرسة دينية في ديروط ﴾

أكبر آيات الارتقاء البيئية في هذه الديار ما نراه فيها يوماً بعد يوم من بذل المال في سبيل العلم والدين فهو على قلته في نمو وازدياد يدل على أنه أثر لحياة جديدة في الأمة ولا ارتقاء الا بارتقاء النفوس ولا دليل على هذا الارتقاء الا بذل المال والوقت في سبيل المصلحة العامة وهي سبيل الله التي دعا اليها بدعاة الفطرة السليمة والشريعة القويمة

هزت الأريحية في هذا العام قطب بك قرشي وجه مركز ديروط الوجيه فاخطت بجانب داره في بلدة ديروط مسجداً جامعاً ومدرسة دينية لتعليم الصلوم الازهرية وكتاباً تحضيرياً لها وأوقف على هذا البناء الذي يشمل ثلاثة المعاهد مئة فدان من أجود أطميانه لينفق من ريعها على المسجد والكتاب وحجرات الطلاب وعلى المعلمين والمتعلمين وشرط ان يكون التعليم فيها تابعا للازهر في نظامه الا انه شرط ان يعلم فيها فقه المالكية والحنفية فقط ولو أطلق لكان أولى لان حوادث الزمان كثيراً ما تقضي بأندراس مذهب واستبدال غيره به وقد سبق الواقف غيره الى مثل هذا الشرط فقضى الزمان على ما شرط ولو شئنا لجئنا بالشواهد على ذلك ولكن المقام ليس بمقام البحث في مثله واننا نعلم ان السبب في هذا الشرط هو احياء المذهب الذي ينتمي اليه أكثر أهالي تلك الجهة من صعيد مصر وهو مذهب المالكية والمذهب الرسمي للحكومة البلاد وهو مذهب الحنفية

وقد دعا الواقف أكبر علماء الازهر ونظارة المعارف وكثيراً من وجهاء القاهرة ومديرية أسبوط الى الاحتفال بوضع الاساس لهذا البناء فأجاب الدعوة

شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية وطائفة من الشيوخ وأمين بك سامي من قبل نظارة المعارف وكان رئيس الاحتفال محمود بك صادق رئيس أعلام الديوان الخديوي مندوباً عن الأمير وحضره أيضاً مدير أسبوط ومحمود باشا سليمان وكيل مجلس شورى القوائين وكثيرون. وقد سافر المدعوون من القاهرة في قطار خاص الى ديروط يوم الخميس ثمان خلون من رجب وكان الاحتفال في يوم الجمعة عاشر رجب بدئ الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم بتلاوة صحيفة الوقف ثم تكلم بعض من حضر وخطبوا بما يناسب المقام فقال أمين بك سامي كلاماً وجيزاً مفيداً ذكر فيه قناطر ديروط التي يتوزع منها الماء على أراضي ثلاث مديريات وشبه بها عمل قطب بك قرشي قائلاً ما معناه أنه يرجو أن يكون هذا العمل ناشراً للمعارف في أرجاء تلك البلاد كما توزع تلك القناطر الماء فتكون ديروط معهداً لحياة الأرواح وحياة الأرض

وقرأ الشيخ سليمان العبد من كبار شيوخ الأزهر خطبة قال إنه يتكلم بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية وسائر العلماء. وموضوع الخطبة ملخص ما قيل في تفسير قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وشرح الحديث الصحيح « من بني لله مسجداً ولو كفه حصص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » ومن ذلك تفسير المفحص والنسبة في اختياره والكلام في كنس المساجد وتنظيفها. ثم أثنى على قطب بك قرشي الثناء الأوفى وختم كلامه بالدعاء للإطمان وللخديوي والثناء عليهما بالأطراء المعتاد. وتلاه الشيخ عبد العزيز البشري بخطبة رشيقة العبارة استهلها بالشكوى من كثرة القائلين من المصريين وقلة العاملين وبين أنه لا يرجي أن يعود الى مصر مجدداً السابق إلا اذا كثروا العاملون وانتقل من ذلك الى الثناء على قطب بك قرشي ثم السلطات والأمير بأسلوبه الشعري والشيخ عبد العزيز هذا مبال الى الأدبيات وأسعني لهنه شعراً حسناً يدل على مستقبل أحسن منه ان شاء الله تعالى. وخطب محمد أفندي أحمد الصميدى فتكلم عن تأثير العلم في مدينة اليونان والرومان والعرب وأوربا واليابان ثم انتقل من ذلك الى شرح عمل الواثق

والطرائف ومدح السلطان والخديوي، وكان هناك آخرون قد أعدوا شيئاً للخطابة
فحال ضيق الوقت دون تلاوتها، وقد اقترح على صاحب هذه المجلة أن يخطب
فارتجبل خطاباً وعي كثيراً منه مكاتب المؤيد فكتبه ونشره المؤيد وقد تذكرت
بقرائه فيه ما كنت ناسياً منه وبعض ما نسيه المكاتب فأنا أنشر هنا ما يخص ذلك وهو
أنا نحتفل اليوم بميل يعد من المصالح العامة فمن مقتضى المقام ان نقول

كلمة في المصالح العامة وكلمة في جنس هذا العمل منها وكلمة في الاحتفال به
القيام بالمصالح العامة وبذل المال في سبيلها هو الأساس الذي بني عليه مجد
الامم وعزها وبها ساد المسلمون في الزمن الماضي وبه سادت الامم العزيزة الحاضرة
وبه تسود الامم في كل زمان ومكان

كثير الكلام في هذه الايام في ضعف المسلمين وتأخر شعورهم عن جميع
شعوب الارض في كل شيء، وكثير القول في علاج هذا الضعف ومهما اختلف
العقلاء في طرق العلاج فهم لا يختلفون في أن ارتقاء الامة متوقف على وجود
العاملين للمصلحة العامة الذين يبذلون في سبيل الامة أموالهم وأوقاتهم بل وأرواحهم،
اننا على ضعفنا في العلم والمال والرأي وجميع مقومات الحياة لا يزال فينا من جرائم
الحياة ما يكفي لانماشنا وإقالة عثارتنا اذا وجد فينا الباذلون والعاملون الامة،
قال بعض عظماء الاجانب لعظيم من عقلائنا انني قلما ذارت الوطيين في مسألة
الا ورأيت فهمهم فيها كفهنا فالظاهر انه لا فرق بيننا وبينكم الا في شيء واحد
وهو كثرة الذين يهتمون بالمصالح العامة فينا وندرتهم فيكم

ان من آيات عناية سلفنا بالمصالح العامة ما بقي لنا من أوقافهم الكثيرة على
أعمال البر المختلفة سيما مدارس العلم وان مدارس من تلك الاوقاف وذهبت معالها
وما عاد ملكاً للجهل بأصله هو اكثر مما بقي

كيف لا يسبق المسلمون الى بذل المال في كل مصلحة عامة وعمل نافع للامة
وحافظ اشرف الملة والاسلام وقد جعل بذل المال في سبيل الله من آيات الايمان
بل جملة هو وبذل النفس أعظم الآيات (وههنا تلونا بعض الشواهد على ذلك
من القرآن الحكيم) فالبذل في المصالح العامة هو أفضل الاعمال وأشرفها

والباذلون هم سادة الامة وعظماؤها لأن الامة لا ترتقي الا بهم لاسيما في هذا الزمان الذي لا يقوم فيه عمل عظيم الا بالمال فالبنل فيه يعد بمثابة الفتح والباذلون في مصاف الفاتحين

لم يدع الاسلام فضيلة من الفضائل المحيية للأمم الا حث عليها وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره من أعظم ما يدعو الى النهوض بالأعمال التي يعم ويستمر نفعها وهو قوله « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » فالسنة هي الطريقة الحميدة التي يعم نفعها فاذا كان الشارع قد وضع الذين يقومون بالأعمال النافعة للأمم موضع الأئمة أفلا يجب ان نعرف لهم قدرهم وأن نقندي بمثل فعلهم . ولنا ان نقول ان محبي السنة بعد موتها وانطماس آثارها يعد كالذي سنها لأول مرة لأن محبي الشيء بعد الموت كوجوده من العدم فالسابقون الى حبس الاوقاف على إحياء العلم والدين وغير ذلك من أعمال البر التي ترقى الامة في هذا الزمان يعدون من واضعي السنن الذين لهم مثل أجر من يعمل كعملهم الى يوم القيامة

أكتفي بهذا القول الوجيز في انشروع من حيث هو مصلحة عامة أما كونه مسجد أو مدرسة دينية فقد رأيت في بعض الجرائد انتقادا عليه لبعض الناس يرى صاحبه أنه كان ينبغي ان يكون مدرسة ابتدائية أهلية فان المساجد كثيرة والتعليم الديني قليل الجدوى وهذا شأن الناس عندنا اليوم ينتقدون كل خير وقلماء ينتقدون الشر . لو كان قطب بك أنشأ مسجده في شارع الدرب الاحمر بالقاهرة حيث المساجد تزيد على حاجة السكان ومدرسته بجانب الازهر لكان هذا الانتقاد صوابا ولكنه أسس هذا المعهد العلمي في جهة ليس فيها معهد لتعليم الدين . في الوجه البحري عدة معاهد لتعليم العلوم الدينية ووسائلها من فنون العربية تابعة للازهر كالجامع الأحمدى وجامع المرسي وجامع الدسوقي (وجامع دمياط) وليس في الوجه القبلي معهد لذلك على أن الوجه القبلي أحوج لان أهله أفقر والرحلة أشق عليهم وأعسر . فلم يبق الا ان المنتقد يرى ان التعليم الديني لا حاجة اليه بالمره ولا أحب أن أصف صاحب هذا الرأي بما أراه يابق

به فحسبه ما يراه الناس من قيمة رأيه

ما هو الأثر الذي رآه المنتقد للتعليم الابتدائي في البلاد ففضله به على التعليم الديني؟ اننا نرى أكثر المتعلمين في المدارس الابتدائية لم يزيدوا أمتهم الا خبالا وبلادهم الا خرابا بل لأهم لأهم لم الا اللذات الحيوانية والمخروط الشخصية ومهما كان حال طلاب العلوم الدينية رديئا فإنه لا يبلغ ما هم عليه من الفساد التعليم الديني اذا أدى على حقيقته تهربي النفوس وتقل الجرائم والفواحش ويندر سلب الاموال ونهش الاعراض ويكثر الصدق والامانة والمودة في الناس. قد يقال ان هذا التعليم عندنا ناقص ليس له مثل هذه الآثار الجلييلة نعم ان التعليم الديني عندنا ناقص ولكن الواجب علينا ان نسمي في تكميل الخبر الناقص لافي ازالته من الوجود بالمرّة. ليس التعليم الديني هو الناقص وحده فينا. ان كل شيء عندنا ناقص ولو كلنا في شيء من أمور الاجماع لسهل علينا ان نكمل في غيره لان الكمال يمد بعضه بعضا

است أعني بما قلت في التعليم الابتدائي انه لا حاجة اليه كيف وهو وسيلة للبرقي الى تعليم أعلى منه لا يرتقي البلاد بدونه وانما أعني أن فائدته دون فائدة التعليم الديني ومفسدته ان لم يجعل وسيلة للكمال أشد من مفسدة النقص في التعليم الديني كما هو مشاهد. نحن في أشد الحاجة الى تميم التعليم الابتدائي والسعي في تكميل نقصه بحسن التربية وجماله وسيلة لها فووقه. وفي الوجه القبلي مدارس ابتدائية كثيرة للحكومة وغيرها وفي أبي تيج مدرسة صناعية لسعادة محمود باشا سليمان. ففرضي مما قلت أن أبين ان عمل قطب بك في مجاله فان التعليم الديني في متيسر في الوجه القبلي دون التعليم الديني الذي هو انفع منه بل هو الذي لا بد منه أما الكلام في الاحتفال بهذا العمل النافع فقد سمعت بعض الناس هنا يقولون انه لا حاجة اليه ولا فائدة في مثل هذه الزينة وهذا الاحتفال يمثل هذا المشروع الديني وأنا أعد هذا من قصر النظر ولو بعد نظر المنتقد لرأي ان تأثير هذا الاحتفال في نفخ روح القدوة والمباراة في المصالح العامة أبلغ من تأثير الخطب والمواعظ والشعر. فان احتفالا بحبيب الدعوة اليه العلماء الاعلام ومندوب الامير

والحكومة ووجهاء الأمة ينظر اليه الناس بعين الرضا ويعد حضوره لاشهادة فعلية
بنفسه وشكرا لمن قام به لسان الحال فيهما أفصح من لسان المقال . وإذا كان المحتفل
يزوي باحتفاله الترخيب في مثل عمله فإنه يثاب عليه أكثر مما يثاب المرء على
العمل الصالح الخفي وإظهار العمل لا يستلزم الرياء وحب الثناء على أن حب الثناء
في الحق لا ينافي الاخلاص في العمل
ثم ختتمنا القول ببحث الأغنياء على الأعمال النافعة للأمة والدعاء باصلاح
الراعي والرعية وتوفيق الجميع الى القيام بما فيه سعادة الأمة

﴿ أخبار نجد ﴾

ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد وتكليف ابن سعود به وبقومه
وبعد أن قتل صار ولده متمب أميراً مكانه وقد كان من أمر ابن سعود بعد
ذلك أن استولى على أكثر عربان ابن الرشيد وزحف عليه حتى نزل على ماء يقال
له المدوه يبعد عن حايل (بلد ابن الرشيد) نحو ست ساعات فاستعد متمب
للحصار وضافت عليه الدنيا لأن بلده ليس فيها من القوت ما يغنيها عما يأتيها من
العراق فتوسل بابن عون باشا شيخ الزبير بن يوسف ابن صباح شيخ الكويت
في الصلح بينه وبين ابن سعود فدعب شيخ الزبير بنفسه الى الكويت على ما
كان بينه وبين ابن صباح منذ سنوات من الشحناء فأكرم ابن صباح وقادته
وقبل شفاعته وكتب الى ابن سعود يرغب اليه بأن يرجع عن محاصرة متمب بن
الرشيد حتى يتذاكر معه فيما ينبغي فأجاب ابن سعود رغبته ولا ندرى على أي
شيء تم ذلك الصلح وامله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده وما يحيط
به وما يحيط به الا شيء قليل كما علم مما تقدم

أما سير الدولة هناك فإنها بعد ما كان من فيضي باشا من ازالة سوء التفاهم
بين ابن السعود والدولة قد عينت سامي باشا متصرفاً لنجد فأقام في المدينة المنورة
ثم ذهب الى نجد منذ أشهر فأقام في الشيعة مع المساكن المنظمة التي هناك (والشيعة
قرية من قرى القصيم) وكان متمب ابن الرشيد قد استقبله بالحفاوة قبل وصوله

الى القصيم في قرية سميره التابعة لحايل وقدم له الهدايا وكان له صلة بأعوانه في المدينة والظاهر أنه أراد أن يستعين به على ابن سعود ويقال انه هون عليه شأنه . ثم طلب المتصرف من ابن سعود ان يلاقيه فالتقيا في البكيرية من قرى القصيم وهي التي وقعت فيها الملحمة الفاصلة التي قتل فيها عبد المزين بن الرشيد . جاء ابن سعود في جيش من البدو والحضر يبلغ نحو خمسة آلاف . وقد طلب المتصرف من ابن سعود ان يترك له القصيم ينزل هو والمسكر في قصر يريد وقصر عزيزه ويكون هو احاكم للقصيم يجمع المال ويستقل بالحكم . وكان شيوخ القصيم حاضرين هذا الاجتماع مع ابن سعود فأبوا على المتصرف ذلك وسأله ابن سعود هل يحمل أمرا من الدولة بذلك فقال لا قال ابن سعود اننا خاضعون لأمر أمير المؤمنين وقد عاهدنا المشير فيضي باشا على السمع والطاعة وأنت تعلم ان بلادنا فقيرة لا غناء فيها لاهلها فنحن لا نرضى بأن نغير شيئا مما نحن عليه فاذا لم يكن معك أمر من السلطان بشي . فلا تقبل لك قولا واذا كان عندك أمر من السلطان فاننا نطلع عليه فاذا كان سهلا علينا قبلناه واذا كان شاقا فاننا نرفع أمرنا الى أمير المؤمنين مسترحمين في رفقنا ولا نشك في أنه يرجحنا ولا يكافنا ما يشق علينا ولا تحمله طبيعة بلادنا . ووافقه الشيوخ على ذلك . وقد أتى المتصرف على متعب بن الرشيد ووصفه بالاخلاص للدولة ففهم ابن سعود انه يمرض به فاستاء واقترقا مفضيين ومن أخبار تلك البلاد ان أهل البادية أكثروا الاعتداء على المساكر بالانداء والنهب والسرقة فلما أعياهم أمرهم خاطب المتصرف ابن سعود في حماية المسكر من البدو وكان ابن سعود لا يزال مفضيا مما قابله به المتصرف من العظمة والنفوسة ومن مدح خصه في وجهه فاجابه انك أنت والمسكر ما جنتم الالحمايتنا فكيف تطالبون منا أن نحكم فلما رأى المتصرف ان جميع بلاد نجد خاضعة لابن سعود وأنه لا يقدر على الإقامة هناك مع مناوآته والتكبر عليه إلا ان له القول وأرسل اليه الفرس الذي أهداه اليه متعب بن الرشيد هدية وكتب اليه أنه اذا لم يقبل الفرس فانه يقتله ولا يقيه عنده قبله وأمر الاعراب بالكف عن المسكر فأطاعوا وحسنت الحال . وكان ذلك قبل الصلح مع متعب